مفهوم دلالة السياق ومذاهب المفسرين في التزامها وتطبيقات عليها

The concept of context significance and the doctrines of interpreters in its commitment and applications to it

https://aif-doi.org/AJHSS/119302

د. أمين عمر عبدالله باطاهر*

*أستاذ مساعد بجامعة سيئون

قسم الدراسات الإسلامية بكلية البنات

ملخص البحث

يعالج البحث مفهوم دلالة السياق ومذاهب المفسرين حولها مع ذكر تطبيقات عليها؛ في تحديد وبيان المعنى الأرجح عند المفسرين، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي للنصوص عند المفسرين، ويهدف البحث إلى توضيح حقيقة دلالة السياق عند المفسرين، وبيان مذاهبهم ومعرفة التزام وتطبيق دلالة السياق عند المفسرين. وابتدأ ببيان مفهوم السياق وأهميته في فهم النص ثم الدراسة التطبيقية، قسم الباحث الموضوع إلى مبحثين، الأول: مفهوم دلالة السياق ومذاهب المفسرين في التزامها، وفيه مطلبان: المطلب الأول: مفهوم السياق وأنواعه وأهميته، المطلب الثاني: مذاهب المفسرين في التزام دلالة السياق، المبحث الثاني: تطبيقيات دلالة السياق عند المفسرين في تحديد المعنى.

أثبتت الدراسة أهمية معرفة وتطبيق المفسرين لدلالة السياق وبيان دوره في تفسير الآية، وأن المفسرين على ثلاثة مذاهب في التزام دلالة السياق المشددون، والمتساهلون، والمتوسطون، وهو الراجح الذي عليه أكثر المفسرين والأصوليين.

الكلمات المفتاحية: تفسير، القرآن، الضمير، دلالة السياق.

Abstract

The research addresses the concept of context significance and the commentators' doctrines about it، mentioning applications to it. In determining the most likely meaning according to the interpreters، the researcher used the descriptive analytical inductive approach to the texts according to the interpreters، and began by explaining the concept of context and its importance in understanding the text، then the applied study، and made the title of the research (the concept of the significance of context and the doctrines of the interpreters in their commitment and applications to them). The researcher divided the topic into two sections، the first: Explaining the term context and the doctrines of the commentators regarding its

ISSN : 2410-1818

commitment. It contains two requirements: the first requirement is the concept of context and its importance، the second requirement is the doctrines of interpreters in adhering to the meaning of context، the second topic: applications of the meaning of context according to commentators in determining the most likely meaning. The study demonstrated the importance of the interpreters' knowledge and application of the meaning of the context and explaining its role in interpreting the verse. The commentators are of three schools of thought in adhering to the meaning of the context: the strict، the lenient، and the moderate، which is the most correct opinion held by most commentators and fundamentalists.

Keywords: interpreters، semantics، context applications.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل في التزام دلالات سياق القرآن الكريم بيان للحق والعلم وفي التزام التوسط الزيادة فيه والتمام، وأصلي وأسلّم على إمام المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن أصول وقواعد المفسرين تضبط وتحقق مقاصد القرآن وغاياته، ووجد من بعض المفسرين التشدد فلا يتعدى دلالة سياق النص، وربما صُرف عن بيان مقاصد القرآن في تفسيره، ومن المفسرين من لا يلتزم الدلالة، ومرة يلتزمها في مواضع؛ ثم إننا عند تتبع عبارة كتب التفسير نجدها تشير إليها دون التوضيح الكافي وهذا ما دعاني لبحث الموضوع.

أهمية البحث:

1- ضرورة فهم السياق القرآني في دراسة التفسير.

2- الوقوف على تطبيقات دلالة السياق عند المفسرين.

كون دلالة السياق أحد أدلة الترجيح عند اختلاف المفسرين.

أهداف البحث:

يهدف البحث من خلال عرض وتحليل الآيات وأقوال المفسرين إلى:

1- توضيح حقيقة دلالة السياق عند المفسرين.

2- بيان مذاهب المفسرين في التزام دلالة السياق.

3- معرفة تطبيقات دلالة السياق عند المفسرين.

ISSN : 2410-1818

الدراسات السابقة: من خلال تتبع الباحث في المكتبات العلمية والالكترونية وجد بعض الدراسات والأبحاث ولكن لم تستوعب الموضوع وهي كالآتي:

1- دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للشنقيطي دراسة موضوعية تحليلية، للمطيري، أحمد لافي فلاح، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة للجامعة الأردنية.
2- دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية، للشتوي، فهد، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى.
3- السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة للشهراني، سعيد محمد، رسالة دكتوراه غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى.
4- منهج السّياق في فهم النّصّ للدكتور عبد الرحمن بو درع، كتاب الأمة، ع:111، المحرّم1427هـ- فبراير2006م.
5- دور السياق في تقدير مرجع الضمير في الدراسات اللغوية والقرآنية للدكتور محمد أحمد خضير.

لكن هذه الدراسات لم تستوعب الموضوع لسعته وكذا لم تتناول التطبيق له وهو ما قام به الباحث، ثم تلك الأبحاث محصورة في بابٍ معين من أبواب النحو أو التفسير.

منهجية البحث وإجراءاته:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي للنصوص عند المفسرين، وكانت إجراءات البحث في اتباع الخطوات الآتية:

1- عزو الآيات القرآنية إلى السورة وبرقم الآية في الحاشية.
2- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية وبيان الحكم عليها.
3- توثيق أقوال المفسرين من المصادر الأصلية وعزوها.
4- دراسة النصوص وترتيبها حسب خطة البحث.
5- توثيق المعلومة من المصادر والمراجع.
6- الاستعانة بكتب اللغة عند الحاجة إليها.
7- ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في البحث.

ISSN : 2410-1818

وتحقيقاً لهذه لأهداف وأهمية الموضوع تم تقسيم هيكل البحث إلى مبحثين كالآتي:

المبحث الأول: مفهوم دلالة السياق ومذاهب المفسرين في التزامها

المطلب الأول: مفهوم دلالة السياق وأنواعه وأهميته

المطلب الثاني: مذاهب المفسرين في التزام دلالة السياق

المبحث الثاني: تطبيقات دلالة السياق عند المفسرين في تحديد المعنى

الخاتمة: وتتضمن خلاصة البحث وأهم النتائج.

والله الموفق لما يحب ويرضى.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول

مفهوم دلالة السياق ومذاهب المفسرين في التزامه

المطلب الأول

مفهوم دلالة السياق وأنواعه وأهميته

أولا : تعريف لفظ الدلالة لغة واصطلاحا :

1- الدلالة في اللغة: مصدر دلّ يدل دَلالة ودِلالة بفتح الدال وكسرها، ومعناها الإشارة والهداية يقال دلّه على الطريق يدله دَلالة ودِلالة[1]، قال الراغب[2]: " الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي [3]، قال تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾[4].

2- الدلالة في الاصطلاح: كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وقيل: الدلالة اللفظية الوضعية: فهم المعنى من اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه، للعالم بوضعه.[5]

---

1) انظر مختار الصحاح للرازي: ص209 مادة (دل)، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ط5، 1420هـ / 1999م.

2) الحسين بن محمد بن المفضل اشتهر بلقبه الراغب الأصفهاني كان إمام في اللغة، في زمانه، وكانت له مصنفات في التفسير، توفي في قصبة أصبهان سنة 425 هـ ينظر بغية الوعاة للسيوطي: 2/ 297، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي: ص 112.

3) ينظر المفردات في غريب القرآن: ص 171، دار المعرفة، مكان النشر لبنان بدون تاريخ.

4) سورة سبأ: 14

5) ينظر التعريفات للجرجاني: ص 104، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط/1، 1403هـ –1983م.

ISSN : 2410-1818

ثانيا: تعريف لفظ السياق لغة واصطلاحا:

1- السياق في اللغة مأخوذ من الجذر (س و ق)، وهو مصدر (ساق يسوق سوقاً وسياقاً) فالمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث، وهو التتابع[1]. وقيل: أن السياق في اللغة بمعنى (الإيراد)[2]. ويرى ابن الأنباري[3]: أنَّ كلامَ العرب يصحِّح بعضُه بعضاً، ويَرتبط أَوَّلُه بآخره، ولا يُعْرَفُ معنى الخطاب منه إلاَّ باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوعُ اللَّفظَةِ على المعنييْن المتضادَّيْن، لأَنَّها يتقدَّمُها ويأْتي بعدَها ما يدلُّ على خصوصيَّةِ أَحد المعنييْن دون الآخر، ولا يُراد بها في حالِ التكلُّم والإخبار إلاَّ معنًى واحد.[4]

2- السياق في الاصطلاح: إذا رجعنا إلى تعريف في النص القرآني نرى عدة تعريفات كلها تدور في أنه الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولا عليه بلفظ المتكلم، أو أحوال الكلام أو المتكلم فيه أو السامع، نقف على تعريفين هما:

أ- يعرف بأنه:" ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه[5].

ب- يعرف بأنه: إطار عامّ تنتظم فيه عناصر النّصّ ووحداته اللّغويّة، ومقياس تتّصل بوَساطَتِه الجُمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداوليّة ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النّصّ للقارئ[6]. ونرى من هذين التعريفين للسياق أنه يشمل بيان الكلمة أو الجملة منتظمة مع ما قبلها وما بعدها.

وفي ضوء تعريف العلماء قديما وحديثا لمصطلح السياق يتبين لنا أن السياق في الاصطلاح: عبارة عن العلاقات اللغوية والبيانية والنفسية القائمة بين الألفاظ والمعاني، أو العبارات والجمل في إطار نص ما.

---

1) ينظر: لسان العرب لابن منظور: 10 / 166 مادة (سَوَقَ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط2 سنة 1412 هـ 1992م.

2) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي: 27/4، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1977م.

3) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري أبو بكر أديب نحوي لغوي مفسر من كتبه (الكافي في النحو)، (غريب الحديث) توفي عام 328 هـ (شذرات الذهب لابن العماد: 2/ 315)، ومعجم المؤلفين رضا كحالة (11/ 143).

4) الأضداد لابن الأنباري ص: 2، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان عام النشر: 1407 هـ – 1987م.

5) حاشية العطار على جمع الجوامع: 30/1، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ طبع.

6) دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية للباحث فهد الشتوي، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى: ص 27.

ISSN : 2410-1818

ثالثا: تعريف دلالة السياق في القرآن الكريم

عند تتبع أقوال علماء التفسير والبلاغة قديما وحديثا في تعريفه، نجد خلاصته: بأنه المعنى المأخوذ مما يحيط بالنظم القرآني من كلام سابق أو لاحق، وما يحيط به من أحوال. فهو كل مَا يُوضح عَن المُرَاد من لَاحق الْكَلَام الدَّال على خُصُوص الْمَقْصُود أَو سابقه.

وتعرف دلالة السياق بأنها: الدلالة الحاصلة من مراعاة ما يحيط باللفظ أو التركيب أو النص من كلام سابق أو لاحق قد يشمل النص كله أو الكتاب بأسره وما يحيط به من ملابسات غير لفظية أو ظروف تتعلق بالمخاطِب أو المخاطَب وطبيعة موضوع الخطاب وغرضه والمناسبة التي اقتضته والزمان والمكان الذي قيل فيه الكلام" [1]

رابعا: أنواع السياق في القرآن الكريم:

إن دراسة سياق النص في القرآن الكريم أو في اللغة تُعدّ إحدى وسائل تصنيف المدلولات[2]، لذلك يجب أن يتم عرض اللّفظ القرآنيّ في موقعه على مختلف السياقات لفهم معناه، واستنباط دلالته، كما أنزل الله تعالى في كتابه، ويذكر أن للسّياق أنواع كثيرة منها[3]:

- السّياق المَوضوعيّ، ومعناه دراسة الآية أو الآيات التي يجمعها موضوع واحد، سواء أكان الموضوع عامّاً كالقصص القرآنيّ أو الأمثال أو الحِكم الفقهية، أم كان خاصّاً كالقصة المخصوصة بنبيّ من الأنبياء أو حُكم من الأحكام أو غير ذلك، وتتبّع مواقعها في القرآن الكريم كلّه.

- السّياق المَقاصديّ ومعناه النّظر إلى الآيات القرآنيّة من خلال مقاصد القرآن الكريم والرؤية القرآنية العامّة للموضوع المُعالَج.

1) دلالة السياق في القصص القرآني لمحمد العبيدي: ص34، منشورات الثقافة والسياحة، اليمن صنعاء، 2004م.

2) يذكر اللغويون في العصر الحديث عدة تصنيف المدلولات معتمدين على عدّة طرق منها: الطريقة الشكلية أو الاشتقاق الصرفي، والطّريقة السّياقيّة، و الطّريقة الموضِعيّة (تصنيف المدلولات بحسب موضع المتكلّم وموقفه)، و الحقول الدّلاليّة (القَرابة الدّلاليّة بين المدلولات)، والتّحليل بالمُؤلّفات التي تتألّف منها الكلمة. انظر في تفصيل هذِه الطّرق: "مدخل إلى عِلم الدّلالة الألسنيّ" موريس أبو ناضر، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، ع:18-19، مارس1982م، والسياق في الفكر اللغوي عند العرب للدكتور صاحب أبو جناح، مجلة الأقلام، العدد3-4، 117.

3) ينظر بسط الموضوع في كتاب: "منهج السّياق في فهم النّصّ" د. عبد الرحمن بودرع، كتاب الأمة، ع:111، المحرّم1427هـ-فبراير 2006م.

ISSN : 2410-1818

- السّياق التّاريخيّ بمعنييه العامّ والخاصّ؛ فالعامّ هو سياق الأحداث التّاريخيّة القديمة التي حكاها القرآن الكريم والمُعاصِرة لزمن التّنزيل، والخاصّ هو أسباب النّزول.

وينبغي الاحتكام إلى كلّ هذه الأنواع من السّياقات عند إرادة دراسة النّصّ القرآني بمنهج سياقي متكامل، أما الاقتصار على أحد السياقات فإنه يقصر المعنى ويحدد من الاستفادة فمثلا من يقتصر على السياق التّاريخيّ سيحوم حول النّصّ ولا يعدوه، وكذا من يقتصر على السّياق الدّاخليّ وحده دون الالتفات إلى الأحداث التّاريخيّة المحيطة به أو المصاحبة لنزوله، فسيحجم النص ويقصره على ما تفيده الألفاظ من معانٍ ودلالات محدودة.

خامسا: أقوال العلماء في أهمية دلالة السياق:

ذكر العلماء لدلالة السياق أهمية وفوائد في تفسير القرآن الكريم نذكر منها الآتي:

1- عبد القاهر الجرجاني[1] ذكر في حديثه وتأصيل لنظم الكلم بقوله: "النظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق"[2] ومن هنا يظهر "أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل" [3] وهو يؤكد بذلك أن المقصود من الإعجاز والتحدي بالقرآن أو الآيات منه، وصارت نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني تظهر آثارها بتنسيق الكلمات في تتابع مفضٍ إلى معنى بيّنٍ قصده المتكلم - اللّه تعالى -.

2- العز بن عبد السلام[4] يذكر فوائد دلالة السياق بقوله: " السِّيَاق مرشد إِلَى تبين المجملات[5] وترجيح المحتملات[6] وَتَقْرِير الواضحات، وكل ذَلِك بعرف الِاسْتِعْمَال فَكل صفة وَقعت فِي سِيَاق الْمَدْح كَانَت مدحا، وكل صفة وَقعت فِي سِيَاق الذَّم كَانَت ذما، فَمَا كَانَ مدحا بِالْوَضْعِ فَوَقع

1) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، إمام في اللغة والبلاغة، له مصنفات منها: كتاب المغني (30 مجلد) اعجاز القرآن، المفتاح، دلائل الاعجاز، اسرار البلاغة. توفي رحمه الله تعالى سنة 471هـ. ينظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: 265)

2) دلائل الإعجاز للجرجاني: 40، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط/3، 1413هـ – 1992م

3) المصدر نفسه.

4) عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي. كانت وفاته سنة660هـ ينظر طبقات المفسرين للداوودي (1/ 315) والأعلام للزركلي (4/ 21)

5) ما يحتاج إلى بيان. أو الكلام العام، الموجز

6) مِنَ الْمُحْتَمَلِ أو مِنَ الْمُمْكِنِ، مِنَ الْمُرَجَّحِ، مِنَ الْجَائِزِ.

ISSN : 2410-1818

فِي سِيَاق الذَّم صَار ذما واستهزاء وتهكما؛ بعرف الِاسْتِعْمَال مِثَاله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[1] أَي الذَّلِيل المهان لوُقُوع ذَلِك فِي سياق الذم[2].

3- المفسر ابن جزي الكلبي[3]: يقول فيما يتم به الترجيح في التفسير: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده[4].

4- بدر الدين الزركشي[5] يذكر من قواعد طرق تفسير فيما لم يرد فيه نقل عن المفسرين بقوله: "وطَرِيقُ التَّوَصُّلِ إِلَى فَهْمِهِ النَّظَرُ إِلَى مُفْرَدَاتِ الْأَلْفَاظِ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ وَمَدْلُولَاتِهَا وَاسْتِعْمَالِهَا بِحَسَبِ السِّيَاقِ"[6]

5- المفسر محمد رشيد رضا: [7] يرى أن دلالة السياق تؤدي إلى معرفة حقيق المعنى للآية بترابط أجزاء الكلام بقوله: "إِنَّ الْقُرْآنَ يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قَرِينَةٍ تَقُومُ عَلَى حَقِيقَةِ مَعْنَى اللَّفْظِ: مُوَافَقَتُهُ لِمَا سَبَقَ مِنَ الْقَوْلِ، وَاتِّفَاقُهُ مَعَ جُمْلَةِ الْمَعْنَى، وَاشْتِلَافُهُ مَعَ الْقَصْدِ الَّذِي جَاءَ لَهُ الْكِتَابُ بِجُمْلَتِهِ"[8]

ومن خلال ما تقدم من كلام العلماء يجب على المفسر مراعاة أوّل الكلام وآخِره، وربط ذلك كلّه بأحوال نزوله، لبيان المعنى المراد، وتُدرَكُ علاقاتُ الكلام بعضِه ببعض بمعرفة أساليب عرض النّصّ القرآني، ومن هذه الأساليب أسلوبُ الرّدّ والتّعقيب، وأسلوب الحوار، وغير ذلك.

---

1) سورة الدخان: 49.

2) الإمام في بيان أدلة الأحكام لابن عبد السلام: ص 159.

3) محمد بن أحمد الكلبي ابن جزي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، من كتبه: " تقريب الوصول إلى علم الأصول " و " التسهيل لعلوم التنزيل – ط، توفي شهيدا في سنة 741هـ. ينظر "طبقات المفسرين للداوودي (2/ 87) الأعلام للزركلي (5/ 325).

4) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي:1/ 19.

5) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، له تصانيف كثيرة في عدة فنون، كانت وفاته سنة 794هـ ينظر طبقات المفسرين للداوودي (2/ 162) الأعلام للزركلي (6/ 60)

6) البرهان في علوم القرآن للزركشي: 2/ 172.

7) محمد رشيد بن علي رضا علي خليفة البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ كانت وفاته سنة 1354 هـ والتفسير. ينظر الأعلام للزركلي (6/ 126)

8) تفسير المنار لرشيد رضا:1/ 20.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني

مذاهب المفسرين في التزام دلالة السياق

المذهب الأول: المشددون في التزام دلالة السياق ورد أي معنى آخر إذا خرج عنه:

يثبت في مقدمة أصحاب هذا الرأي ابن القيم[1] حيث يقول:" السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة. وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته" [2].

نرى تشدده في التزام السياق وعدم قبول غيره بقوله: "والقطع بعدم احتمال غير المراد" وكذا قوله: "فمن أهمله غلط وغالط في مناظرته".

وممن تبع ابن القيم على ذلك الشاطبي[3]حيث يقول أن: "المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل... ولا محيص للمتفهم من رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره"[4] وقال أيضا في موضع آخر: "ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه، وتَقوَّل على اللّه ورسوله فيه... أنه لا بد في فهم الشريعة من إتباع معهود الأميين -وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم- فإن كان للعرب في لسانهم عُرفٌ مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثمَّ عُرف فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه" [5].

يظهر تشدد والتزام الشاطبي في ذلك أنه وصفه مفهوم السياق؛ أنه يشمل الأحوال والأوقات والنوازل، بقوله: "ولا محيص للمتفهم" ويشترط عدم فكاك المعنى الصحيح عن السياق، أو العدول عنه أي (معهود الأميين).

---

1) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق ألّف تصانيف كثيرة في أنواع العلم منها: (إعلام الموقعين – ط) وغيرها، كانت وفاته سنة 751هـ. ينظر طبقات المفسرين للداوودي (2/ 95) الأعلام للزركلي (6/ 56)

2) بدائع الفوائد لابن القيم:4/ 9.

3) إبراهيم بن موسى الشاطبي، أبو اسحاق، أصولي، لغوي، مفسر مالكي المذهب، مولده بغرناطة من مصنفاته: الموافقات، المقاصد الشافية، وتوفي سنة 790هـ. ينظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص: 46) معجم المؤلفين لعمر كحالة: 118/1.

4) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي: 413/3.

5) المرجع السابق:2 /81-82.

ISSN : 2410-1818

المذهب الثاني: المتوسطون في التزام السياق ويرونه مرجحا ومرشدا للمعنى ولا يرد به معنى آخر إذا انضبط بمدلول وقرينة أخرى فهذا المفسر سلطان العلماء العز بن عبد السلام يذكر في كتاب الإيجار إلى الإشارة أن من أدلة المجاز السياق، وأشار إليه ضمن أنواع الحذف والتقدير جمل عليه، وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى[1].

ويذكر عدد من المفسرين أن سياق الكلام أحد ما يتم به الترجيح في التفسير بل يؤكدوا على أن دلالة السياق أفضل قرينة تؤدي إلى معرفة حقيق المعنى للآية [2]. ومنهم العلامة ابن جزي والزركشي ومحمد رشيد رضا وغيرهم.

المذهب الثالث: المتساهلون الذين لا يلتزمون دلالة السياق عند فهم المعنى أو التفسير أو لا توجد عندهم ضوابط يلتزموا بها في فهم النص، وذلك مثل تفسير الباطنية[3].

وقد أشار المفسر أبو حيان الأندلسي[4] في مقدمة تفسيره أن أقوال الباطنية تخرج عن مقصود الألفاظ بقوله: "وتركتُ أقوال الملحدين الباطنية، المخرجين الألفاظ العربية عن مدلولاتها في اللغة، إلى هذيان افتروه على اللّه، وعلى عليّ كرَّم اللّه تعالى وجهه، وعلى ذُرِّيته، ويسمونه علم التأويل.." [5]

ونص التفتازاني[6] على قول النسفي[7] في العقائد: "والنصوص على ظواهرها، فالعدول عنها إلى معان يدَّعيها أهل الباطن إلحاد وكفر بقوله: "وقصدهم بذلك نفى الشريعة بالكلية (الحاد) أي ميل وعدول عن الاسلام، واتصاف بكفر لكونه تكذيبا للنبي عليه السلام فيما علم مجيئه

---

1) ينظر الإيجار إلى الإشارة: ص6، 19.

2) التسهيل لعلوم التنزيل:1/ 19.

3) جاءت تسميتهم بالباطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفى الشريعة بالكلية" ينظر شرح العقائد النسفية للتفتازاني طبعة الهند (ص: 502).

4) مُحَمَّد يُوسُف بن عَليّ بن يُوسُف بن حَيَّان النفزي الأندلسي، نَشَأ بغرناطة وَقَرَأَ بهَا الْقرَاءَات وجال فِي بِلَاد الْمغرب ثمَّ قدم مصر قبل سنة ثَمَانِينَ وسِتمِائَة من تصانيفه الْبَحْر الْمُحِيط فِي التَّفْسِير، ينظر طبقات المفسرين للأدنه وي (ص: 279).

5) البحر المحيط في التفسير:1/ 13.

6) مسعود بن عمر التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان)، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها سنة 793 هـ، ودفن في سرخس. من كتبه (تهذيب المنطق – ط). ينظر طبقات المفسرين للأدنه وي (ص: 301) الأعلام للزركلي (7/ 219)

7) عمر بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن إِسْمَاعِيل النَّسَفِيّ نجم الدّين أَبُو حَفْص كَانَ إِمَامًا فَاضلا أصوليا متكلما مُفَسرًا مُحدثا وَأجل تصانيفه التَّيْسِير فِي تَفْسِير كتاب الله تَعَالَى فِي أَربع مجلدات أبد ع فِيهَا بالنكات، ولد بنسف سنة 461هـ وَتُوفِّي بسمرقند سنة 537هـ. ينظر طبقات المفسرين للأدنه وي (ص: 171)

ISSN : 2410-1818

بالضرورة"[1]

إن الباطنية ذهبوا في تفسيرهم إلى تأويلات باطلة للآيات لاعتمادهم على أسس مخالفة للقرآن الكريم والسنة والإجماع وتركهم للقواعد النحوية والبلاغية ومنها أهم أن النصوص ليست على ظواهرها، بل لها معان باطنة لا يعرفها الا المعلم، بذلك فلا اعتبار لدلالة السياق.

ويدخل أيضا في مذهب المتساهلين بعض دعاة التفسير العلمي الحديث، كالشيخ طنطاوي جوهري(ت1309هـ)[2] في كتابه الجواهر في تفسير القرآن الكريم، وقد جمع فيه من العلوم والمعارف ما أخرجه عن كونه كتاب تفسير، ملأه باستطرادات في كل علم، وجمع كلّ غريب، ورسم فيه صوراً متنوعة عن النباتات والأعشاب والحيوانات والطيور إلى غير ذلك من الكائنات.

ولتتضح صورة تفريط هذا المذهب وعدم التزامه بدلالة السياق نذكر مثال على ما أورده من توسع واستطرادات إلى حدود أخرجت الكتاب عن التفسير وعن مقاصد القرآن فمثلا يقول: عند

حديثه عن الأرواح وتفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[3] قال: "وأما علم تحضير الأرواح فإنه من هذه الآية استخراجه، إن هذه الآية تُتلى والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم تحضير الأرواح بأمريكا أولًا، ثم بسائر أوروبا ثانيًا، فلأذكر نُبذة منه لتعرف كيف كان مبدأ هذا العلم، وكيف كان انتشاره بين الأمم، وفائدة هذا العلم أن مَن صحت عنده أحوال الأرواح[4].

ويعلق الدكتور الذهبي على تفسير طنطاوي جوهري بقوله: " إنا لنجد -رحمه الله- يفسر آيات القرآن تفسيرًا علميًّا يقوم على نظريات حديثة، وعلوم جديدة لم يكن للعرب عهد بها من قبل، ولست أرى هذا المسلك في التفسير إلا ضربًا من التكلف إن لم يُذهب بغرض القرآن، فلا أقل من أن يذهب بجلاله وجماله"[5].

1) ينظر شرح العقائد النسفية للتفتازاني- طبعة الهند (ص: 502).

2) هو عالم، حكيم، أديب، مشارك في أنواع من العلوم، مصري التحق بالجامع الأزهر، وتخرج بدار العلوم ودرّس بها وبغيرها، تعلم اللغة الانجليزية، وألقى محاضرات في الجامعة المصرية، له مؤلفات كثيرة، ولد سنة 1287هـ، وتوفي سنة 1309هـ/ معجم المؤلفين- عمر كحالة- 42/5.

3) البقرة: 67.

4) ينظر الجواهر في تفسير القران الكريم: 84/1-89، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (2/ 653)

5) التفسير والمفسرون (2/ 373).

ISSN : 2410-1818

فالشيخ طنطاوي سلك في نهجه إقحام النظريات العلمية في التفسير إلى درجة عدم مناسبتها للسياق، تراه يحشد المسائل الكونية في تفسيره دون إي صلة بينها وبين السياق التفسيري الذي جاءت فيه الآية، وكان لهذا الاستطراد أثر سلبي في تقطيع وتماسك التفسير، ثم إن هذا التساهل والتكلف يوشك أن يخرج به عن هدفه.

المبحث الثاني

تطبيقات دلالة السياق عند المفسرين في تحديد المعنى

يعترض فهم نصوص القرآن الكريم ودلالات تراكيب ألفاظه وجمله كثير من الإشكال، ومن أهمها تعدد المعنى في تفسيره، ونحن في هذا المبحث نستعرض دلالة السياق في تحديد المعنى في النص، وخصوصا في بيان تفسير الضمير، ولا يخفى قول الإمام الشاطبي في الموافقات في حجِّية الدلالات المرجحة للنص القرآني بقوله:" إنّ المتتبِّع للنصّ القرآني يدرك أن المَساقاتِ فيه تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، ممّا هو معلوم في علم البيان والمعاني فالضّابط الذي يَلزَم في فهم النص هو الالتفات إلى أول الكلام وآخِره بحسب القضية وما اقتضاه الحالُ".

وهذه تطبيقات المفسرين لدلالة السياق في تحديد المعنى الأرجح كالآتي:

1. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (1)

تعددت أقوال المفسرين في تفسير قوله ﴿من مثله﴾ فقيل: أنه عائد على المنزل[2] وعليه تكون ﴿من﴾ للتبعيض أو بيان الجنس[3]وقيل: أنه عائد على ﴿عبدنا﴾، ومعنى ﴿من﴾ على هذا القول ابتداء الغاية[4] والمعنى فأتوا بسورةٍ من بشرٍ مثله. وقيل: أنه يعود على التوراة والإنجيل، فالمعنى فأتوا بسورةٍ من كتاب مثله فإنها تصدق ما فيه[5].

(1) البقرة:23.

(2) ينظر تفسير الطبري: 373/1-374، تفسير القرآن العظيم لابن كثير،: 63/1.

(3) ينظر الدر المصون للسمين: 200/1، المحرر الوجيز لابن عطية: 106/1.

(4) ينظر أنوار التنزيل للبيضاوي: 57/1، السمين، الدر المصون: 200/1.

(5) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 223/1، المحرر الوجيز لابن عطية: 107/1.

ISSN : 2410-1818

وأرجح المعاني كما يفهم من إعمال السياق اللغوي والموضوعي وسياق المفردات أن يعود الضمير على المُنزل إجراء لظاهر الآية، وربطاً للكلام، ولا يصح عوده على المنزل عليه، وحق الكلام ألا ينفك عن المنزل؛ ليتسق الترتيب والنظم [1]، وللآية نظائر أخرى تُفهم من سياق الموضوع وتُبين أن التحدي بالمنزل لا بالمنزل عليه[2]، كقوله: **﴿فأتوا بسورة مثله﴾**[3] وقوله: **﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾**[4] وقوله: **﴿على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾**[5]، ويذكر البيضاوي[6] أن الأمر بأن يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم يرد عود الضمير إلى **﴿عبدنا﴾** ولا يلائمه[7] قوله تعالى: **﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾** وهذا الوجه أقوى والتحدي أكمل وأشمل، فهو تحدٍ لهم متفرقين ومجتمعين سواء في ذلك أميهم وكتابيهم [8].

(1) ينظر أنوار التنزيل للبيضاوي: 57/1.

(2) ينظر تفسير الطبري: 374/1، أنوار التنزيل للبيضاوي: 57/1، البحر المحيط لأبي حيان: 169/1.

(3) يونس:38.

(4) هود:13.

(5) الإسراء:88.

(6) عبد الله بن عمر بن الشيرازي، أبو سعيد، البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس) ورحل إلى تبريز وتوفي فيها سنة 685 هـ. من تصانيفه " أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ينظر الوافي بالوفيات: 17/ 206، الأعلام للزركلي:4/ 110.

(7) ينظر أنوار التنزيل للبيضاوي: 57/1.

(8) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 63/1، البحر المحيط لأبي حيان: 170/1.

ISSN : 2410-1818

2. قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]

اختلف علماء في تفسير قوله ﴿وَأُتُوا بِهِ﴾ قيل: أنه عائد على المرزوق في الجنة وهذا ما ذكره ابن جرير[2]، وأبو حيان[3]. وقيل: أنه يعود إلى المرزوق في الدنيا والآخرة؛ لأن قوله: ﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾ انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين. ورجحه الزمخشري والبيضاوي، والنسفي[4].

وأرجح الأقوال الأول؛ لأن سياق الآية، والمتحدث عنه الجنة، والمشبه بالذي رزقوه من قبل، مع أنه إذا فسرت القبلية بما في الجنة تعين ألا يعود الضمير إلا إلى المرزوق فيها [5]. ثم إن الكلام عن المأتي به في الجنة، والمأتي به رزقها لارزق الدنيا.

3. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [6]

اختلف المفسرون في قوله ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ على أقوال: منها: أنه عائد إلى المثل وهذا اختيار ابن جرير[7]، وأبي حيان، وقيل: أنه يعود إلى ضرب المثل، ذكر هذا أبو حيان[8]، وجوزه البيضاوي[9]، وقيل: أنه يعود إلى انتفاء الاستحياء، ذكره أبو حيان [10].

---

(1) البقرة: 25.

(2) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها 310هـ. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له أخبار الرسل والملوك. ينظر معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب:6/ 2441.

(3) ينظر تفسير الطبري: 389/1، البحر المحيط: 187/1.

(4) ينظر الكشاف للزمخشري: 53/1، أنوار التنزيل: 61/1، مدارك التنزيل للنسفي: 34/1.

(5) ينظر البحر المحيط لأبي حيان: 187/1.

(6) البقرة: 26.

(7) ينظر تفسير الطبري: 1 / 406-407، البحر المحيط: 200/1.

(8) ينظر البحر المحيط لأبي حيان: 200/1.

(9) ينظر أنوار التنزيل للبيضاوي: 63/1.

(10) ينظر البحر المحيط لأبي حيان،: 200/1.

ISSN : 2410-1818

والراجح القول الأول؛ ويؤيده سياق الآية وأنه أقرب مذكور في الكلام، ودلالة ما بعده؛ حيث استدل ابن جرير وأبو حيان على قولهم بقوله تعالى: ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ وأما عوده إلى انتفاء الاستحياء فبعيد عن معنى الآية.

4. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (1)

ذكر علماء التفسير قولين في قوله تعالى ﴿ميثاقه﴾:

الأول: أنها تعود إلى اسم الله تبارك وتعالى، وهذا اختيار ابن جرير(2) أي: من بعد توثيق الله العهد عليهم. والثاني: أنها تعود إلى العهد، وهذا ما رجحه أبو حيان(3)؛ لأن الحديث عن العهد، أي: من بعد توثيق العهد عليهم، وكلا التفسيرين صحيح، وممن جوز الوجهين الزمخشري (4).

5. قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (5)

ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ أقوال: منها أن يكون الضمير عائداً إلى الجنة، فيكون معنى الكلام كما قرأ حمزة(6)﴿فأزالهما﴾(7) أي: نحاهما. وقيل: أن يكون عائداً على أقرب المذكورين، وهو الشجرة، فيكون المعنى: فأزلهما أي: من قبل الزلل، فعلى هذا يكون تقدير الكلام ﴿فأزلهما الشيطان عنها﴾ أي: بسببها، كما قال تعالى: ﴿يؤفك عنه من أفك﴾(8) أي: يصرف بسببه

(1) البقرة: 27.

(2) ينظر تفسير الطبري: 414/1.

(3) ينظر البحر المحيط: 206/1.

(4) ينظر الكشاف للزمخشري: 59/1.

(5) البقرة: 36.

(6) أبو عمارة، حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، أحد القراء السبعة، وكان إماماً حجة حافظاً للحديث بصيراً بالفرائض والعربية، توفي- رحمه الله تعالى- سنة 156هـ. ينظر معرفة القراء الكبار للذهبي: 111/1.

(7) ينظر الحجة في القراءات السبع لابن خالوية: ص 94.

(8) الذاريات:9.

ISSN : 2410-1818

من هو مأفوك [1]، وقيل: عائد إلى الطاعة بدليل قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه﴾[2] فيكون الضمير عائداً على غير مذكور، إلا على ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ولا تقربا﴾. وقيل: عائد إلى الحالة التي كانوا عليها، من التفكه والرفاهية والتبوء من الجنة. وقيل: عائد إلى السماء، قال أبو حيان: وهو بعيد[3]، وضعف السمين الحلبي[4] هذه الأقوال عدا القولين الأولين حيث قال: " وقيل: الضمير للطاعة، أو الحالة، أو للسماء، وإن لم يجر لها ذكر؛ لدلالة السياق عليها. وهذا بعيد جداً"[5]، ولا يخفى ما في هذه الأقوال من التكلف؛ ولذلك أعرض عن ذكرها الكثير من المفسرين. وللقولين الأولين، حظ من النظر، ورجح عود الضمير على الجنة البغوي والسمين الحلبي[6]، ورجح عوده على الشجرة أبو حيان والزمخشري والنسفي[7]. ويؤيده سياق الآية وما بعدها من قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ وهو أقرب مذكور ملفوظ به.

6. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[8]

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ على قولين:

الأول: أن الضمير في ﴿فإنه﴾ عائد إلى جبريل، والضمير في قوله ﴿نزله﴾ عائد إلى القرآن، ورجحه ذلك ابن جرير وأبو حيان والبيضاوي والشوكاني[9].

---

(1) ينظر تفسير القرآن لابن كثير: 83/1.

(2) طه:121.

(3) البحر المحيط: 162/1

(4) الشيخ الإمام العلاّمة شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي المعروف بابن السمين من تصانيفه إعراب الْقُرْآن سَمَّاهُ الدّرّ المصون فِي أَرْبَعَة أَجزَاء ومادته فِيهِ من تَفْسِير شَيْخه أبي حَيَّان توفي سنة 756هـ ينظر أعيان العصر وأعوان النصر:1/ 441، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة: 3/ 18.

(5) الدر المصون للسمين: 288/1.

(6) ينظر معالم التّنزيل للبغوي: 83/1، الدر المصون للسمين: 288/1.

(7) ينظر البحر المحيط: 262/1، الكشاف للزمخشري: 63/1، مدارك التنزيل للنسفي: 42/1 – 43.

(8) البقرة:97.

(9) تفسير الطبري: 386/2–387، معالم التنزيل للبغوي،:125/1، البحر المحيط لأبي حيان: 512/1، تفسير البيضاوي: 96/1، فتح القدير للشوكاني،:180/11.

ISSN : 2410-1818

الثاني: أن الضمير الأول عائد إلى الله تعالى، والثاني عائد إلى جبريل، أي: فإن الله نزل جبريل على قلبك، ورجحه ابن عطية[1].

وأرجح القولين بدلالة سياق الآية القول الأول؛ حيث إنه المناسب لآخر الآية، قوله: **﴿مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾** فهذه أوصاف للقرآن الكريم، ولا يتناسق النظم مع قوله: **﴿بإذن الله﴾** وإظهار لفظ الجلالة إلا بالمعنى الأول، ويختل بلاغة النظم على المعنى الثاني، ويؤيده سياق الموضوع في قوله: **﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾**[2] .

7. قوله تعالى: **﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**[3]

اختلف علماء التفسير في قوله **﴿منهما﴾** على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عائد على الملكين، ونص عليه ابن جرير وأبو حيان، والسمين[4]. وقيل: أنه عائد على السحر، وعلى الذي أنزل على الملكين[5]، وقيل: أنه عائد على الفتنة والكفر، الذي يفهم من قوله تعالى **﴿فلا تكفر﴾**.

وأرجح الأقوال عوده على الملكين؛ إعمال للسياق الظاهر المتحدث عنه في الآية، ودلالة تثنية ألفاظ الأفعال العائدة إليهما: **﴿يعلمان– يقولا﴾** وتوحيد الضمائر أولى من تفريقها، والأقوال الأخرى لا تخلو من تكلف وتحتاج إلى تقدير في الكلام.

(1) ينظر المحرر الوجيز لبن عطية: 183/1.

(2) الشعراء:193 –194.

(3) البقرة: 102.

(4) ينظر تفسير الطبري: 445/2، البحر المحيط: 532/1، الدر المصون للسمين: 40/2.

(5) ينظر المحرر الوجيز: 188/1، البحر المحيط: 532/1.

ISSN : 2410-1818

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ثلاثة أقوال:

الأول: أنه عائد إلى السحرة ورجحه ابن جرير[1]، وقيل: أنه يرجع إلى اليهود، العائد عليهم ضمير ﴿واتبعوا﴾، وقيل: أنه عائد إلى الشياطين، والقولان الأخيران ذكرهما أبو حيان[2].

والراجح القول الأول؛ لأنه مفهوم من سياق الآية وتوحيد عود الضمير أولى.

وتفسير ﴿علموا﴾ في قوله تعالى: ﴿ولقد عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ ثلاثة أقوال: أنه يعود على اليهود، وهو اختيار ابن جرير والزمخشري وابن كثير[3]، وقيل: أنه يعود إلى الشياطين[4]، قيل: أنه يعود على الملكين، وهذا على القول بأن أقل الجمع اثنان[5].

وأرجح الأقوال أن الضمير عائد على اليهود لدلالة الخطاب والسياق اللغوي.

8. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[6]

اختلف المفسرون في قوله ﴿يؤمنون به﴾ في الموضعين على أربعة أقوال: أنه عائد إلى الكتاب، رجحه ابن جرير والزمخشري وأبو حيان والسمين[7]، وقيل: أنه راجع إلى النبي ﷺ، ورجحه الزجاج[8]، وقيل: أنه يعود إلى الله، ذكر هذا أبو حيان والسمين الحلبي[9]، وقيل: أنه يعود إلى الهدى، نص عليه ابن عطية[10].

(1) ينظر تفسير الطبري: 449/2.

(2) ينظر البحر المحيط: 532/1.

(3) انظر تفسير الطبري: 450/2-451، الكشاف: 86/1، تفسير القرآن العظيم: 147/1.

(4) ينظر المحرر الوجيز: 188/1، البحر المحيط: 532/1.

(5) المرجعان السابقان نفسه.

(6) البقرة: 121.

(7) ينظر تفسير الطبري: 571/2، الكشاف للزمخشري: 91/1، تفسير البحر: 592/1.

(8) ينظر معاني القرآن للزجاج: 203/1.

(9) نظر البحر المحيط: 592/1، الدر المصون السمين: 95/2.

(10) ينظر تفسير المحرر الوجيز: 205/1.

ISSN : 2410-1818

وأرجح الأقوال: عوده إلى الكتاب؛ حيث يفهم من سياق الآيات التي قبلها، والحديث عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهو أقرب مذكور ملفوظ به.

9. قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1]

للمفسرين في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ ستة أقوال: أنها ترجع إلى الملة، رجحه الزجاج والعكبري وأبو حيان والشوكاني؛ لأنها أقرب مذكور مصرح به[2]، وقيل: أنها تعود إلى الكلمة التي هي قوله: ﴿أسلمت لرب العالمين﴾[3] ، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾[4] يعني قوله:﴿إنني براء مما تعبدون﴾[5] ورجحه الطبري والزمخشري وابن عطية والقرطبي [6]، وقيل: أنها تعود على كلمة الإخلاص، وإن لم يجرِ لها ذكر، فهي مشار إليها من حيث المعنى؛ إذ هي أعظم عمد الإسلام، وذكر ابن عطية وأبو حيان[7] بقية الأقوال وهي: أنها مردودة إلى الوصية المدلول عليها بقوله: ﴿وصى﴾ وقيل: أنها راجعة إلى الطاعة، وقيل: أنها تعود على الكلمة المتأخرة، وهي قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:132].

وأرجح الأقوال تفسيرها بالملة؛ لدلالة السياق والحديث عنها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾، وأنها أقرب مذكور مصرح به بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾[8] وإعمالاً لقاعدة رد الضمير إلى المذكور القريب ما لم يمنع من ذلك مانع، وأما بقية الأقوال تحتاج إلى التقدير والتأويل.

(1) البقرة: 132.

(2) ينظر معاني القرآن للزجاج: 211/1، التبيان للعكبري: 118/1، تفسير البحر المحيط لأبي حيان: 636/1، فتح القدير للشوكاني،: 210/1.

(3) البقرة:131.

(4) الزخرف:26.

(5) الزخرف:28.

(6) ينظر تفسير الطبري: 93/3، الكشاف للزمخشري: 95/1، المحرر الوجيز لابن عطية: 223/1. الجامع لأحكام القرآن: 135/2.

(7) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية: 213/1، البحر المحيط: 636، والسمين، الدر المصون: 124/2-125.

(8) البقرة: 130.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة

إن القرآن الكريم منبعا فياضا لا تنتهي عجائبه وخيراته ومعانيه، ويظهر من خلال البحث أثر دلالة السياق عند المفسرين في إثراء معاني الآيات وإيضاح دلالاته سواء كانت موافقة لدلالة السياق الداخلية أو الخارجية ومن أهم النتائج:

1- يوضح البحث حقيقة أهمية دراسة دلالة السياق في تفسير الآية.

2- أثبت الباحث أن مذاهب المفسرين ثلاثة مع بيانها بالأمثلة والتطبيقات وعناية جمهور المفسرين كابن جرير الطبري والزجاج والزمخشري وابن عطية والقرطبي والبيضاوي وأبو حيان الأندلسي والسمين الحلبي وغيرهم.

3- يستلزم على المفسر معرفة قواعد وضوابط التفسير منها دلالة السياق وعود الضمير وغيرها، وأن يراع عند التفسير السياق لآيات القرآن الكريم.

ويرى الباحث أن يعطى الموضوع حقه من العناية عند تكوين الملكة التفسيرية للمفسر في كليات العلوم الشرعية وأقسام الدراسات الإسلامية؛ ليتسلح الخريجين بمعرفة متكاملة لضوابط وقواعد الدلالات السياقية ودراستها دراسة وافية.

يجب الاهتمام بالدراسات اللغوية المفيدة والمؤثرة في تحديد وتفسير النص حيث تسهم دراسة عناصر الجملة العربية خصوصا دلالة السياق في الفهم والإفهام للخطاب القرآني، وما يثبت للقارئ مدى تماسك النص ومفرداته، لتعطى صورا بلاغية متجددة للمعنى وتؤكد على الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع

1. ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب -، دار الكتب العلمية بدون تاريخ نشر.
2. ابن الفقيه الحاج أحمد بابا بن أحمد (ت1036 هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، ط/2، 2000 م.
3. ابن جرير، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000.
4. ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي (ت741هـ)،التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى - 1416 هـ.
5. ابن خالوية، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، (ت370هـ)، الحجة في القراءات السبع تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، الطبعة الرابعة، 1401هـ.
6. ابن شهبة أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين (ت851هـ)، طبقات الشافعية تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت،ط/1، 1407 هـ.
7. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ.
8. ابن عبد السلام، أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، (ت660هـ)، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، طبعة عامره، بدون تاريخ نشر.
9. ابن عبد السلام، أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، (ت660هـ)، الإمام في بيان أدلة الأحكام، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الأولى، 1407هـ - 1987م.
10. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.

ISSN : 2410-1818

11 ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى - 1419 هـ.

12 ابن منظور محمد بن مكرم (ت 711هـ) لسان العرب، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب وغيره. دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1416هـ

13 أبو جناح صاحب، السياق في الفكر اللغوي عند العرب، مجلة الأقلام، العدد3-4، 117.

14 أبي حيان عبدالله محمد بن يوسف بن حيان (ت754هـ)، البحر المحيط، بدون تحقيق، دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية 1411هـ-1990م.

15 الأنباري أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار(ت328هـ) الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان 1407 هـ.

16 الأنباري عبد الرحمن بن محمد، أبو البركات، (المتوفى: 577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ط/3، 1405 هـ - 1985م

17 بابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية (ت751هـ)، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

18 البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ.

19 البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ.

20 التفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله الشافعي (ت 793 هـ)، شرح العقائد النسفية، تحقيق: د / أحمد حجازى السقا، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة – ط/1 - 1987م.

21 التهانوي كشاف اصطلاحات الفنون، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1977م.

22 الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين (ت816هـ) التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط/1، 1403هـ -1983م.

23 الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط/3، 1413هـ - 1992م.

24 الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (المتوفى: 626هـ) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/1، 1414 هـ - 1993م.

ISSN : 2410-1818

25 د. محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، دار المعارف تاريخ الطبع1980م.
26 الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1417 هـ- 1997م.
27 الذهبي الدكتور محمد السيد حسين (ت 1398هـ) التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة
28 الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت 606هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ.
29 الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت666هـ) مختار الصحاح تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ط/5، 1420هـ / 1999م.
30 الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت502هـ) المفردات في غريب القرآن تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
31 الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988م.
32 الزركشي بدر الدين (ت 794هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الجيل – بيروت – لبنان. سنة الطبعة 1408هـ-1988م.
33 الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي (ت1396هـ) الأعلام، دار العلم للملايينط/15، - أيار / مايو 2002 م.
34 الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ترتيب وضبطه مصطفى حسين أحمد دار الكتاب العربي.
35 السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد السمعاني التميمي الحنفي (489هـ) تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ- 1997م.
36 السمين الحلبي، أبو العباس، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم ا(ت756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم- مشق.
37 السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت911هـ) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
38 الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد (ت790هـ) الموافقات، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.
39 الشتوي، فهد، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى.

ISSN : 2410-1818

40 الشهراني، سعيد محمد ، السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة رسالة دكتوراه غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى.

41 الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من التفسير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة الأولى - 1414 هـ.

42 الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: د. علي أبو زيد، وغيره، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط/1، 1418 هـ - 1998 م

43 طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي(ت ق 11هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، ط/1، 1417هـ- 1997م.

44 عبد الرحمن أبو درع، منهج السّياق في فهم النّصّ" كتاب الأمة، عدد: 111، المحرّم1427ه/فبراير2006م.

45 العبيدي، محمد دلالة السياق في القصص القرآني، منشورات الثقافة والسياحة، اليمن صنعاء، 2004م.

46 العطار، حسن بن محمد بن محمود الشافعي (ت1250هـ) الحاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بدون طبعة وبدون تاريخ.

47 العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت616هـ) التبيان في إعراب القرآن تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه.

48 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م.

49 كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب (ت 1408هـ) معجم المؤلفين، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

50 محمد رشيد بن علي رضا الحسيني (ت1354هـ) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م.

51 المطيري، أحمد لافي فلاح، دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للشنقيطي دراسة موضوعية تحليلية، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة للجامعة الأردنية

52 موريس أبو ناضر، مدخل إلى عِلم الدّلالة الألسنيّ مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، ع:18-19، مارس1982م،

ISSN : 2410-1818

53 النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت710هـ) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) تحقيق يوسف علي بديوي راجعه محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998م.